

BEFORE YOU READ قبل أن تقرأ

- المصطلحات والتعاريف المترجمة إلى اللغة العربية، قد تم كتابتها باجتهاد شخصي بهدف توضيح المعنى ولا تستند إلى معجم أو قاموس لغة، (والتي قد لا تكون صحيحة).
- لم يتم ترجمة جميع نصوص الكتاب، بل تم الاعتماد على أخذ المعنى حسب مفهوم المترجم، والنقاط الهامة فقط، حيث تم تجاهل الاستطراد في الشرح.
- تم الاعتماد في المعلومات المدرجة على طبعتي الكتاب الثانية والثالثة، وبعد مصادر الإنترنت لبعض المواضيع.

كيف نشأت اللغة؟

يغلب الظن والاعتقاد إلى أن لغة الكلام تطورت ونشأت منذ خمسون إلى مائة ألف سنة. قبل لغة الكتابة بما يقارب خمسة آلاف سنة، ومن خلال ما يتم تعقبه من أثار ودلائل للفترات السابقة منذ بداية حياة الإنسان على سطح الأرض. غير أنه لم يتم الوصول إلى أي دليل مادي مباشر. يتعلق بكيفية لغة التخاطب التي كان يستخدمها أسلافنا القدماء. وقد يكون ذلك بسبب غياب الدليل الحسي والمادي حول طريقة التخاطب في تلك الفترات.

أيهما نشأ أولاً لغة الكلام، أم لغة الكتابة؟

بالنسبة للحروف الأبجدية فقد اتفق العلماء على أن "الكلام" سبق "الكتابة".

ما هي المصادر التي اعتمدها الدارسون في دراسة أصل اللغة الإنسانية؟

المصادر التي تم اعتمادها لدراسة أصل اللغة هي أربعة مصادر:

1. المصدر الإلهي The Divine Source
 2. الأصوات الصادرة من الطبيعة والبيئة المحيطة. The Natural Sound Source
 3. الإيماءات الشفهية The Oral-Gesture.
 4. التكيف البدني The Physical Adaptation Source
- الأسنان، الشفاه، الفم، الحنجرة، والحلق. Teeth, Lips, Mouth, Larynx And Pharynx
 - العقل البشري The Human Brain
 - المصدر الجيني الوراثي The Genetic Source

أولاً المصدر الإلهي The Divine Source

هي أسماء جميع ما حولنا (الحسوس وغير الحسوس) هي أسماء موجودة منذ أن بدء خلق هذا الكون. وفي معظم الديانات سيظهر لنا بأن المصدر الإلهي يقوم بتزويد البشر بلغاتهم.

1. نبي الله آدم وتسميته للمخلوقات:

ذكر الله في كتبه السماوية (التوراة، الإنجيل، القرآن) منذ أن خلق الله نبينا "آدم"، وقد أعطاه القدرة على تسمية جميع المخلوقات (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) ^{البقرة 31}. وأصبح منذ ذلك الحين يرمز إليها بمسميتها التي أطلقها عليها نبينا آدم.

2. الديانة الهندوسية: بالنظر إلى الديانة الهندوسية، سنجد أن اللغة جاءت من "سارافاتي" إله التعليم والثقافة عند الهندوس وهي زوجة "باراهاما" إله الخلق. ويعتقد بأن سارافاتي هي من أطلقت الأسماء على جميع الكائنات.

وفي محاولة أخرى لاكتشاف المصدر الإلهي، نفذت عدد من التجارب، وقد كان مفاد أحداها، فرضية أساسية تقول، إذا ما تم تربية الأطفال المواليد، دون سماع أي لغة من حولهم، فإنهم سيبدءون باستخدام اللغة الإلهية.

جربة (1)

قبل ما يزيد عن ألفان وخمسمائة سنة، قام أحد الفراعنة المصريين ويدعى "بسماميتيخوس Psammetichus" بتجربة على طفلان حديثي الولادة.. وبعد مضي سنتين من ترك الطفلان مع معزة، وشخص أخرس لرعايتهما، لوحظ بأن الأطفال نطقوا كلمة "بيكوس bekos" وتعني خبز، غير أنها ليست من كلمات اللغة المصرية، بل اللغة الفريجية (الأرمنية أو اليونانية). وقد اعتقد الفرعون بأن تلك اللغة قد تكون اللغة الأصلية للبشر.

تحليل النظرية: حيث أنه من غير المحتمل، أن يكون الأطفال قد أخذوا تلك الكلمة من مصدر بشري. وحسب إشارة عدد من الباحثين، بأن الأطفال قد يكونوا سمعوا ما كانت تقوله العنزات (فإذا ما قمنا بحذف كلمة Kos، والتي يبدو بأنه تم إضافتها إلى القصة من قبل اليونانيين، ثم قمنا بنطق كلمة be كما في كلمة bed ولكن بدون حرف d وعندها سوف نسمع صوت الماعز).

جربة (2)

الملك "جميس" الرابع لأسكتلندا، . تبني نفس التجربة السابقة حوالي عام 1500م، وقد لوحظ بأن الأطفال يتحدثون باللغة العبرية. والتي يعتقد بأنها لغة الله أو اللغة الإلهية.

وبالرغم من كل التجارب السابقة والتي تقوم على تربية الأطفال دون أي إتصال بالجنس البشري، غير أنها لا تؤكد بأنها مصادر إلهية. حيث يوجد العديد من الأطفال الذين عاشوا دون أي إتصال باللغة البشرية في بداية سنواتهم الأولى بدون أن يتحدثوا أي لغة إطلاقاً. وإن كانت لغة الإنسان قد نشأت من مصدر إلهي، فلن يكون لنا سبيل إلى إعادة بناء لغة أصلية.

The Natural Sound Source

ثانياً المصدر الطبيعي للأصوات

خلاف عن النظريات السابقة، جاءت بعد ذلك نظريات علمية أكثر، غير أنها ما زلت رغم ذلك نظريات لا تستند إلى حقائق، والتي تركز على مفهوم الأصوات في البيئة المحيطة، حيث يعتقد بأن أسماء الأشياء، في العصر البدائي، يمكن أن يكون تم تسميتها بناء على الصوت الذي يصدر منها. فإذا ما تم سماع طائر غريب يصدر صوت "كو كو"، قام الإنسان البدائي بإستخدام ذلك الصوت إشارة إلى ذلك الطائر. كما يمكننا أن نجد هذا في لغتنا العربية مثل كلمتي مواء وعواء وغيرها من الكلمات المشابهة للصوت الطبيعي للكائنات من حولنا.

هناك العديد من النظريات الغشبية في كونها ترجع أصل اللغات إلى الأصوات الطبيعية التي يسمعها أو يصدرها الإنسان وبين كل نظرية فارق بسيط يفرقها عن أخواتها، وسنأخذ ثلاثة منها فقط.

نظرية bow-wow

حقيقة حتى اللغة الحديثة لا تخلق من بعض الكلمات المشتقة من نفس صوت الكائن أو الشيء الذي يصدره، ففي اللغة الإنجليزية نجد مثال لذلك في كلمات عديدة منها: splash, bang, boom, rattle, buzz, hiss, screech. إضافة إلى بعض الكلمات المركبة مثل: bow-wow. وقد أطلق على تلك النظرية، نظرية bow-wow وأن معظم اللغات حتى في وقتنا الحالي لا تخلق من كلمات تم اقتباسها من أصوات طبيعية. الشيء الذي قد يؤيد صحة هذه النظرية.

غير أنه ومن خلال تطبيق هذه النظرية ولو نظرنا إليها نظرة أكثر منطقية لرأينا أن اللغة البشرية ليست مجرد كلمات ومعان، حيث أن اللغة تتكون من أفعال وقواعد وجمل. كما أنه ليست كل الأشياء من حولنا تصدر أصوات، فما صوت الورد مثلاً؟ وكيف أتينا بتسميته إن لم يكن له صوت؟ أن ذلك يبطل صدق النظرية، حتى وإن كانت تحتوي على القليل من الصحة.

نظرية أوتش "Ouch theory" أو "The Pooh-pooh theory"

يقول النظرية أن أصل الأصوات والكلمات يأتي من الصرخات الطبيعية التي يصدرها الإنسان عند الألم والغضب والفرح وغيرها من المشاعر، والتي هي غالباً ما تصدر بشكل تلقائي (لا إرادي)، ومثال على ذلك أن نأخذ كلمة "أخ" Ouch حيث جاءت متضمنة الألم، حيث أنها وغيرها من الكلمات الأخرى مثل "آه Ah! للحسرة"، "أوه Ooh!، واو Wow! وتعبر عن الدهشة، ويخ Yuck! ولكن لو تأملنا تلك الكلمات لوجدنا أنها كلها تأتي بطريقة أخذ النفس المفاجئ، أي كردة فعل لا يخطط لها الإنسان نتيجة عملية الشهيق (دخول الهواء)، والتي هي عكس عملية الكلام المنظم العادي الذي يتكلم به الناس ويجذب نتيجة الزفير (خروج الهواء). كما أنه ليس من الضرورة أن تحتوي مفردات لغة ما على هذه الكلمات، كما أن معظم هذه الأصوات لا يستخدمها البشر في أحاديثهم ككلمات ودلالات رسمية، وهنا يظهر أن احتمال صحة هذه النظرية ضعيف جداً، ولا يمكن الإعتماد على هذه النظرية كقاعدة للغة الإنسان.

"تم ذكر الشرح دون ذكر اسم النظرية في الكتاب، وقد تم الحصول عليه من أحد مواقع الإنترنت"

نظرية "يو هي هو" Yo-heave-ho

من ناحية أخرى يعتقد بأن اللغة هي نتاج أول صوت يصدره الإنسان عن القيام بمجهود بدني، ففي العصر القديم ومع بداية الحضارة كان الناس، يقومون بإنشاد كلمات Yo-heave-ho عند قيام مجموعة جمل شيء ثقيل، وأن تفسير هذه الكلمات قد تعني طلب المساعدة أو التعاون. وغالباً ما نسمع كلمات أخرى مشابهة في وقتنا الحاضر بين صيادين السمك، أو المزارعين، ككلمة "هيا هوب". لكن ولو كانت هذه النظرية صحيحة فهي لا تجيب عن سؤال أصل اللغة فهي مجرد كلمات بدون قواعد ولا أساليب لربطها.

وفي نهاية الحديث نود أن نشير إلى أن علماء اللغة اتفقوا على أن جميع اللغات اعتباطية أي أن أحداً لا يعرف من أطلق على الشجرة اسم "شجرة" ولا على الصخر هذا الاسم بالذات.

إذاً كيف تغيرت اللغات؟ (خارج المقرر للفائدة)

يوجد العديد من المؤثرات التي قد تغير في اللغة مثل الطقس المناخي، العادات الجديدة، والتطور الحضاري، والمعتقدات الحالية، والحالة الاقتصادية... وغيرها من المؤثرات الأخرى. هناك مثلاً لغة الصراخ الجبلية. كان هؤلاء القوم يتحدثون بالسنسسكريتيه في بادئ الأمر . ولكن الطبيعة الجغرافية للبيئة أرغمتهم على مدّ حروف العلة (مثلاً) في المرحلة الأولى لتطورهم اللغوي. فأصبحت كلمة "رمال" تُنطق كـ "رماال" حتى يتسنى للمستقبل سماعها . "رماال" استحالت إلى "ماال" في المرحلة الثانية لصعوبة التقاط الحرف الأول قبل المد الذي أتى قبل الحرف الثاني "م" قبل المد. تحورت الكلمة إلى "ماالو" لتمييزها عن "جماال" التي أصبحت "ماال" في المرحلة الثالثة لتطورها. ثم أصبحت "جمال" الأصلية "ماالا" لتمييزها عن "كمال" أو "شمال".

ي كل مرحلة لغوية كان الإنسان يتوقف ليحوّل آخر تطورات لغته إلى رموز مرسومة فتتكون الحروف والكلمات والجمل وتوضع قواعد لضبط النحو لينتوّق الفهم وتصل الفكرة.

ثالثاً: الإيماءات الشفهية The Oral-Gesture

يستخدم الناس بعض الاتصالات الغير شفهية عندما عملية التخاطب. على سبيل المثال نلوح بالأيدي لنقول "مع السلامة". خربك الرأس إلى أعلى وأسفل لإظهار الموافقة أو قول "نعم". إصدار صوت عن طريق اللسان بمعنى "لا". تشير هذه النظرية إلى أن اللغة بدأت عن طريق "الإيماءات الشفهية" باستخدام أطراف و أعضاء الجسم كاليد والرأس واللسان في عملية التخاطب والتي هي من المهارات اللغوية المستخدمة حتى في وقتنا الحاضر.

The genetic source (Glossogenetics)

رابعاً: المصدر التطوري الجيني

تفيد هذه النظرية والمسماة "غلوسوجينيتيس"، والتي تركز وبشكل رئيسي على القاعدة الحيوية لتشكيل وتطوير اللغة البشرية. هناك تركيز في هذه النظرية على البعض من السمات الطبيعية للبشر (قديمة وحديثة) التي لم تُشترك مع أي مخلوقات أخرى، بأنه ومع قدرة الإنسان بالوقوف على قدميه، أدى ذلك إلى تغيير حناجرهم بطريقة تسمح لهم بإصدار أصوات ذات الحروف الساكنة والمتحركة في اللغة. ولغة الإنسان تطورت نتيجة هذا التغيير.

حيث أنه يأخذ الطفل الرضيع لأي كائن حي في سنواته الأولى كمثال. لوحظ بأن دماغه يكون ربع حجم الدماغ النهائي له، كما أن حنجرة الطفل في تلك المرحلة تكون أعلى من منطقة الخلق، ما يسمح للأطفال مثل حيوان الشمبانزي بالشرب والتنفس في نفس الوقت. وبعد فترة من الزمن تبدأ الحنجرة بالنزول نسبياً، وينمو حجم الدماغ لديه ويتطور، حتى يبدأ بالوقوف والمشي.

ومثل هذا التغيير يمكن ملاحظته من في الاختلافات الطبيعية بين جمجمة غوريلا وجمعة الرجل النياندرتالي من حول 60,000 قبل الميلاد.

هذه الفرضية العلمية الفطرية، والتي تشير إلى علم الوراثة الإنساني من المحتمل أن تكون حل حاسم بما يتعلق بلغز مصدر اللغة.

قاعدة عامة: عدم وجود كلام = No speech = عدم وجود لغة No Language

Physiological Adaptation

خامساً: التكيف الفسيولوجي (وظائف الأعضاء)

على خلاف البشر، فلا يمكن لأي مخلوق آخر أن يستخدم اللغة، حيث أن الحيوانات الأخرى لديها نظام فسيولوجي معقد ومختلف عن النظام البشري.

- الفم البشري صغير ما يسهل عملية فتحه وإغلاقه بسرعة والقدرة على الكلام بسرعة أكبر.
- الأسنان البشرية، ذات حجم منتظم، وشكل قائم ما يسمح لها بإنتاج أصوات مثل حرفي f و v.
- الفم البشري، له نظام عضلي مقعد، ما يسمح له بإخراج الأحرف المتحركة (حروف العلة) المختلفة.
- اللسان البشري، لديه القدرة على التحرك في جميع الاتجاهات (خلف، أمام، فوق، وتحت)، ما يسمح له بإنتاج أصوات الكلام المختلفة.
- وأنه بدون هذه الأعضاء وتركيباتها، لما أستطاع الإنسان القدرة على الكلام.

Human Brain

سادساً: الدماغ البشري

إضافة إلى ما سبق فإن الدماغ البشري مر بالعديد من التغيرات بحيث أصبح أكبر ومتخصص أكثر في اللغة. كما يقول الباحثين بأن الإنسان قد كيف تلك التغيرات الفسيولوجية مع مر العصور والتي أصبحت سببا في ظهور اللغة.

Study Questions

أسئلة مناقشة.

(1) With which of the four types of 'sources' would you associate the quotation from MacNeilage at the beginning of the chapter?

"Chewing, licking and sucking are extremely widespread mammalian activities, which, in terms of casual observation, have obvious similarities with speech." MacNeilage (1998)

Answer:

The Oral-Gesture

(1) أي من مصادر اللغة الأربعة يمكن أن نضع سؤال "ماكنيلاج" MacNeilage "المطروح في بداية الفصل؟

والذي يقول فيه: "المضغ، واللمس، والمص، منتشرة وبشكل واسع بين الأطفال المواليد، والتي هي تعد ملاحظة عشوائية، تمتلك تشابه واضح مع لغة الكلام".

الجواب:

الإيماءات الشفهية.

(2) What is the basic idea behind the 'bow-wow' theory of language origin?

Answer:

When an object occurring a sound, the human will imitating that sound to refer to that object, which is called bow-wow theory.

(2) ما هي الفكرة الرئيسية التي تم بناء نظرية نشأة اللغة 'bow-wow' عليها؟

الجواب:

عندما يصدر جسم ما صوت، يقوم الإنسان بتقليد ذلك الصوت لتسمية ذلك الجسم بنفس الصوت الذي صدر منه.

(3) Why are interjections such as *Ouch!* considered to be unlikely sources of human speech sounds?

Answer:

Because they are usually produced with sudden intakes of breath, which is the opposite of ordinary talk

(3) لماذا يستبعد لبعض الأصوات مثل *Ouch!* بأن تكون أحد مصادر لغة الإنسان؟

الجواب:

لأن ذلك النوع من الأصوات يصدر نتيجة سحب النفس المفاجئ، والتي هي عكس الكلام العادي.

(4) What special features of human teeth make them useful in the production of speech sounds?

Answer:

Because the human teeth are upright, not slanting outwards, and they are roughly even in height

(4) ما هي الميزة في الأسنان البشرية والتي تجعلها سبباً في نطق الكلمات؟

الجواب:

لأن الأسنان البشرية قائمة، غير مائلة نحو الخارج، ما يساعد على نطق الحروف والكلمات بشكل أفضل مثل حرفي [f] و [v].

(5) Where is the pharynx and how did it become an important part of human sound production?

Answer:

the **pharynx** located in above of the vocal cords, which acts as a resonator for increased range and clarity of the sounds produced via the larynx

(5) أين موقع البلعوم، وكيف أصبح جزءاً مهماً في نطق الكلام.

الجواب:

يقع البلعوم فوق منطقة الحبال الصوتية، والذي يقوم بتضخيم الصوت بنطاق متزايد، وتنقية الصوت الخارج من الحنجرة.

(6) Why do you think that young deaf children who become fluent in sign language would be cited in support of the innateness hypothesis?

Answer:

Because the human offspring are born with a special capacity for language.

(6) لماذا برأيك يصبح الأطفال الصم قادرين على استخدام لغة الإشارة بطلاقة، والتي تدعم النظرية الفطرية في اللغة؟

الجواب:

لأن الجنس البشري ولد بلغة ذات سعة فطرية خاصة.

اختبار (Quiz)

1) The divine source claims that language

- a. is God-given.
- b. is learned as a result of experience.
- c. developed as a result of using tools.
- d. is onomatopoeic.
- e. developed as a result of human evolution.

Answer Key

- 1. a
- 2. d
- 3. c
- 4. a
- 5. e
- 6. d

2) Which claim suggests that language developed as a result of the development of speech organs and brain lateralization?

- a. the Divine source
- b. the natural-sound source
- c. the oral-gesture source
- d. physiological adaptation
- e. glossogenetics

3) Glossogenetics assumes that

- a. human brain became specialized for language.
- b. our need for socialization plays an important role in using language.
- c. being two-legged changed the shape of human speech organs and thus language originated.
- d. language originated due to a strong desire to transmit our knowledge to our fellow people.
- e. Language appeared because human tongue became more flexible to produce speech sounds.

4) Which one of the following suggestions is NOT provided in your textbook? Human language developed because:

- a. People wanted to carry out religious rituals.
- b. People started to imitate the sounds of nature.
- c. human vocal tract has developed.
- d. human brain became suitable for the use of language.
- e. people wanted to communicate with others while they were carrying out some collaborative work.

5) Which one of the following is an example of interactional function of language?

- a. recommending a new restaurant that you have visited recently,
- b. communicating about the recent developments in your country,
- c. planning about your study schedule with a friend,
- d. passing your shoe-making skill to your son,
- e. talking about your feelings.

6) According to 'the "pooh-pooh" theory', human beings:

- a. imitated the sounds of nature,
- b. started to use language when they were involved in cooperative tasks,
- c. wanted to imitate certain body movements,
- d. started to use language as a result of producing sounds that represented pain, anger, etc.
- e. started to use language in order to find sexual partners.